زهديات ابن الرومي

محمد عبد القادر أشقر

حصل على الدكتوراه في الأدب العباسي ـ جامعة حلب ، سوريا ، 1989.
يعمل أستاذاً مساعداً بقسم اللغة العربية ـ كلية التربية الأساسية ـ دولة الكويت .

الملخص

يتحدث هذا البحث عن زهديات شاعر كبير من شعراء القرن الثالث الهجري هو ابن الرومي . ويعد هذا الشاعر من كبار الشعراء في تاريخ أدبنا العربي ، وقد شهر بفنون شعرية كثيرة ، لكنه لم يشهر بالزهد ؛ لأنه لم يلتفت إليه كثيراً ، وإنما كان ينظمه في أوقات الصحو بعد أن ينيب إلى ربه وقد أثقلت كاهله الذنوب والمعاصي ، لذا جاءت أشعاره في الزهد قليلة قياساً إلى أشعاره الكثيرة في الأغراض الشعرية الأخرى التي نظم فيها ، ويأتي على رأسها المديح والهجاء والوصف .

لكن زهدياته ـ على الرغم من قلتها العددية ـ تحمل شحنة عاطفية حارة ، وصدقاً يشف عن نفس معذبة ، استشعرت ضعفها أمام خالقها فأنابت إليه طالبة عفوه ورحمته ، بأسلوب عذب يجمع بين الرقة والعفوية والسهولة والصدق .

وهذه الزهديات لاتحمل كثيراً من الترهيب والتخويف من الموت ومايصحبه من عذاب ، كأشعار أبي العتاهية مثلاً ، تلك التي تنفّر الإنسان من الحياة ، وتجعله يكرهها ويكره كل مافيها من متع ، وإنما تحمل ترغيباً للإنسان في عمل الخيرات والأعمال الصالحة ليحظى بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . فزهدياته تحمل من التبشير بالخير أكثر مما تحمله من النذير بالشر ، وتمنح قارئها شعوراً بالأمل بعد الموت ، وتحثه على سلوك طريق الخير ليحظى بما حظي به الزهاد الذين وصفهم ابن الرومي في زهدياته .

نشطت حركة الزهد في القرن الثالث الهجري نشاطاً كبيراً بعد أن ترسخت أصولها في القرن الثاني الهجري على أيدي مجموعة من الزهاد أمثال سُفْيان الثَّوْري (161هـ) وداود الطائي (165هـ) وعبدالله بن المبارك (181هـ)، والفُضَيْل بن عياض (187هـ) وابن كُناسَة (207هـ) ومحمود الورّاق (230 هـ) وغيرهم من الزَهاد الذين كانت حياتهم تطبيقاً عملياً لأقوالهم، كما أسهم الشعراء من الزهاد ومن غير الزهاد ـ كأبي العتاهية ـ في نشر الزهد بما أشاعوه في أشعارهم من معانيه، فاستطاع الشعر أن يخدم الزهد خدمة كبيرة؛ فروَّج له، وساعد في نشره بين الناس، لما للشعر من وقع حسن في النفس، ولقدرته ـ أكثر من النثر ـ على الدوران على ألسنة الناس، كما خدم الزهدُ الشعرَ أيضاً بما قدمه له من معان جديدة، وبما نشر فيه من فضائل معنوية تسمو بالأخلاق، وتحض على التقوىً. فأدى كل من الزهد والشعر الخدمة للآخر، وطوّره، وتطور به.

وينبغي التفريق بين الزهد الذي هو ظاهرة سلوكية عقيدية لها أصولها ومقوماتها، وبين شعر الزهد الذي هو ظاهرة فنية، قد لايكون قائله زاهداً في الحقيقة، وإنما نظم في شعر الزهد كما ينظم في غيره من أغراض الشعر الأخرى، سواء أقَرَنَ أقواله بأفعاله أم لم يقرنها، وسواء أكانت تلك الأشعار تعبيراً عن موقف ثابت من الحياة أم كانت تعبيراً عن صحوة مؤقتة، أو عن إحساس بالذنب، ورغبة في التوبة إلى اللّه والإنابة إليه. فما يهمنا ها هنا الظاهرة الفنية لا السلوكية. وعلى هذا الأساس يمكن أن ندرس الأشعار الزهدية للشعراء من غير الزهاد الذين كانت تنتابهم تلك الصحوات المؤقتة كأبي نواس وابن الرومي ـ وغيرهما ـ على أنها من الزهد.

وإذا بحثنا في أسباب بروز الزهد في شعر الشاعر أو في حياة الزاهد وجدناها تنقسم إلى أسباب عامة وأسباب خاصة؛ فأما الأسباب العامة فنقصد بها مؤثرات البيئة والعصر التي تصيب المجتمع، فتؤثر في أفراده تأثيرات مختلفة، وأما الخاصة فنقصد بها أحوال الزاهد أو الشاعر التي تخصه هو وحده، لأن وجود تلك الأسباب العامة لايعني بالضرورة أن يتأثر الناس جميعهم بها، فلكل

إنسان تَفَرُّدُه وتميزه وخصوصيته . وهذه الأسباب ـ عامها وخاصها ـ أثرت في شاعرنا ابن الرومي ، فاستجاب لها ، وعبّر عن تلك الاستجابة شعراً .

فأما الأسباب العامة التي أثرت في ابن الرومي فهي :

1 - **انتشار الفساد في الحكم والإدارة ، وغياب الأمن ، وانتشار الفوضى ، وانعدام الاستقرار** ، لكثرة الفتن الداخلية والحروب الخارجية ضد أعداء الدولة العباسية والخارجين عليها ، فانتشر الخوف من الحاضر والمستقبل معاً ، ورأى الناس في الاتجاه إلى الله منجاةً من الخوف ، وأماناً منه .

2 - **تشجيع الدولة العباسية لحركة الزهد** : لأن الزهد في حقيقته يعني اهتمام الناس بتخليص أنفسهم من النار ، والفوز بالجنة بالابتعاد عن هموم الدنيا ومشاغلها ، وهذا يعني أيضاً إبعاد الناس عن التفكير في السياسة أو التدخل في شؤون الحكم ، كما أن الدولة العباسية كانت تحارب الزندقة ، وتدعو إلى نشر التوحيد ، لذا شجعت حركة الزهد ، وبنت للزهاد الكثير من المساجد والرباطات التي تؤمن لهم حرية التعبد والتفرغ له ؛ فيقال إن الفضل بن يحيى البرمكي بنى كثيرا من المساجد والرباطات في خراسان عندما زارها سنة مئة وثمان وسبعين[1] . وقد استمر الخلفاء والوزراء والأمراء في بناء المساجد والرباطات تقرباً إلى الله ، واستعانة بالزهاد على مواجهة الزنادقة .

3 - **تباين الحياة المادية في المجتمع العباسي ، وظهور فوارق طبقية هائلة بين أبناء المجتمع الواحد ، وكثرة الفقراء والمحتاجين في ظل الفساد الإداري والغلاء والأوبئة وقلة الأقوات** : فقد عاش معظم الناس أسوأ عيشة ؛ فكثرت الضرائب المفروضة عليهم ، وكثرت مصادرة أموالهم ، وفُرِضَت عليهم البضائع التي احتكرها بعض التجار بمساعدة القواد الأتراك بأضعاف أثمانها ، وكثرت الكوارث الطبيعية من مجاعة وقحط وفيضانات ، فعلى سبيل المثال ارتفعت أسعار القمح والشعير أيام خلافة المُعْتَضِد (279 - 295 هـ) ، ولم يكن في قدرة العامة الحصول عليها ، لقلة ما بأيديهم من أموال ، ولقلة المتوافر منهما في الأسواق ، فشكوا أمرهم إلى الخليفة المعتضد لعله يجد حلاً لما هم فيه من سوء[2] .

وقد صور ابن الرومي سوء أحوال الناس في بغداد بسبب الغلاء الذي ألجأهم إلى البحث عن الطعام فلم يجدوه إلا بشق الأنفس ، بل إن الدقيق صار سراباً يسعى الفقراء خلفه ، تاركين في البيوت أطفالاً جائعين ، حتى إن هذا الغلاء نال من أصحاب المال أيضاً ، فما بالك بمن ليس لديه مال؟[3] .

أحسنُ ما كان الدقيقُ مَوْقعا
مِنْ رجلٍ أفْلسَ حتى أدْقَعا
إذا أتى يسعى حَثيثاً مُسْرعا
ومَدَّ ذو العَيْلَة فيه الإصْبَعا
يشكو إلى اللّه ويَمْري المَدْمَعا
وأصبح القومُ البِطانُ جُوَّعا
وخشي الجائعُ أنْ لايشبعا

وابن الرومي هاهنا يشير إلى موقف مهم وقفه منه أحد ممدوحيه البخلاء الذي كان «يُجري عليه قَفيزَ دقيق في الشهر مادام سعره بدون الدينار ، فإذا زاد سعره وغلا الدقيق جعله ديناراً»[4] .

فكان من نتائج ذلك الفقر خروج الكثير من الجائعين على القانون ؛ فقطعوا الطريق على السابلة ، وارتكبوا ألوان المفاسد والشرور ، واتجه آخرون إلى المجون والخمر والعبث ؛ يضيِّعون الوقت حتى لايذكرهم بهمومهم وأحزانهم ، وليهربوا من واقع مر لم يستطيعوا مواجهته أو التغلب عليه ، يساعدهم في ذلك ضعف الرادع الديني والأخلاقي في النفوس ، وهم يرون في كثير من حكامهم اللاهين العابثين قدوة حسنة ؛ هؤلاء الحكام الذين غضُّوا أبصارهم عن ألوان المعاصي التي كانت ترتكب في العَلَن ، من غير أن يقيموا حدود اللّه ، بل إن بعضهم انغمس في اللهو والترف ، وبالغ آخرون في الإنفاق على ملاهيهم وملذاتهم وبناء القصور حتى تجاوزوا الحد ؛ فالخليفة المعتمِد على اللّه

(256 - 279هـ) كان «مشغوفاً بالطرب ، والغالبُ عليه المعاقرةُ ومحبة أنواع اللهو والملاهي»[5] ، كما كانت الحانات منتشرة في كل مكان ، والجواري يفعلن ما يُرِدْنَ في وَضَح النهار ما دُمْنَ يَلْقَيْنَ الحماية والرعاية من بعض أولي الأمر . والخمور تجارة رائجة ورابحة . واتجهت فئة ثالثة إلى ربها تطلب لديه الأمان من المظالم والمفاسد ، وتجد في المساجد والرباطات والصوامع ملاذاً وأماناً .

4 - **الحرية في عمل أي شيء يريده الإنسان** : فقد كانت الحانات وأماكن اللهو الأخرى أماكن يرتادها من أرادها ، كما كانت أماكن العبادة لمن أراد ارتيادها أيضاً .

5 - **كثرة الوعاظ والقصاص الدينيين والنُّسّاك** الذين كانوا يملؤون المساجد والطرقات ، يذكِّرون الناس بالآخرة ، وينفِّرونهم من الدينا الزائلة التي ليس فيها إلا العذاب والهم والغم ، ويحرضونهم على ترك ملذاتها ومتعها . وقد كان هؤلاء الوعاظ يضربون بأنفسهم الأمثلة في الزهد والتقوى ، ويتسابقون في ترك متاع الدنيا قولاً وعملاً ، مما جعل الناس يلتفون حولهم ، ويقتدون بهم .

6 - **ترسُّخ أصول الزهد** : فمن المعلوم أن حركة الزهد ازدهرت وترسخت جذورها في منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً ، وأصبحت معالمها واضحة كل الوضوح ، وصار لها شعراء كبار كأبي العتاهية وغيره ، كما برز فيها أعلام كبار سبق أن أشرنا إليهم في بداية هذا البحث ، وصار للزهد مؤيدون وأتباع وحلقات خاصة ، وصار علماً يدرَّس في المساجد ، ووصل هذا العلم إلى أهل القرن الثالث الهجري ناضجاً مستوياً على سوقه ، فتقبلوه تقبلاً حسناً وزادوا فيه حتى استطاعوا أن يَخْلُصوا إلى التصوف الذي يعد الوريث الشرعي للزهد ، وإن ظلا معاً نشطين في هذا القرن .

وأما الأسباب الخاصة بابن الرومي فهي :

1 - **كثرة ما أصابه من مصائب وكوارث وويلات في بدنه وعياله وممتلكاته** : فقد كان أسير العلل والأمراض منذ مطلع شبابه الذي رحل مبكراً ، وفقد

أهله جميعهم ؛ إذ مات أبوه وهو صغير ، ثم ماتت خالته وخاله وأخوه الوحيد الذي كان يحنو عليه بعد وفاة أبيه ، ثم مات أولاده الثلاثة أمام عينه الواحد تلو الآخر ، وتبعتهم زوجته ، ولم يبق من أسرته أحد يقف إلى جانبه أو يحنو عليه[6] ، وأصيب في ممتلكاته بأذى كبير ؛ إذ احترقت ضيعته[7] ، وأتى الجراد على زرع له فقضى عليه[8] ، واغتصبت امرأة متسلطة منه إحدى داريه بالقوة ، في حين أرغمه أحد المتسلطين على بيعه الدار الثانية[9] .

2 - **فقره** : عاش ابن الرومي معظم حياته فقيراً على الرغم مما كان يأخذه من الممدوحين ، بسبب الغلاء وكثرة ماينفق على طعامه وعلى أصحابه ، فاضطر إلى الاستدانة وإلى الطلب من ممدوحيه أن يعطوه دينارين أو درهمين أو ثوباً أو رغيف خبز[10] .

3 - **إعراض الناس والممدوحين عنه لسلاطة لسانه وكثرة هجائه لهم ، بحق وبغير حق** : فشعر أنه طريد منبوذ على الرغم من تقدمه وفضله واستحقاقه ، ووجد أن اللّه لايضيع أجر أحد أو ينقص له ثوابه ، وأن بابه مفتوح في وجوه قاصديه ، فاتجه إليه وهو يقول[11] :

بَلَوْتُ طُعومَ الناسِ حتى لو انني ... وجدتُهمُ أحلى مَذاقاً من الشَّهْدِ

لقد آنَ أنْ أسْلاهُمُ وأمَلَّهُمْ ... فكيف وما لاقيتُ منهم أخا رُشْد

وكيف وقد جرَّبتُ من طبقاتهم ... تجاريبَ تدعو النفسَ فيهم إلى الزهد

4 - **صفاء نفسه وحسن إيمانه وتوكله على اللّه في كل أموره** : فقد كانت عقيدته عقيدة المسلم البسيط الذي يسلّم أموره إلى خالقه ، ويتكل عليه في كل شيء ، يُقَصِّرُ في واجباته الدينية أحياناً ، ويلهو ويعبث ، وقد يرتكب المعاصي كشراب الخمر مثلاً ، لكنه لايكفر بربه ، بل يظل يطمع بعفوه ، وبأنه سيقبل توبته .

5 - **خوفه من الموت خوفاً مرضياً** ، وطمعه بالجنة ومافيها من نعيم حرم منه في دنياه .

وقد لخص ابن الرومي مآسيه بقوله يخاطب أحد ممدوحيه[12] :

أنا ذاك الذي سَقَتْهُ يدُ السُّقْـ ـمِ كُؤوساً من المُرارِ رواءَ
ورأيتُ الحِمامَ في الصُّورِ الشُّنْـ ـعِ وكانت لولا القضاءُ قضاء
ورماهُ الزمانُ في شُقَّةِ النفـ ـسِ فأصْمى فؤادَه إصْماء
وابتلاه بالعُسْرِ في ذاك والوَحْـ ـشةِ حتى أمَلَّ منه البلاء
وثُكِلتُ الشبابَ بعد رضاعٍ كان قبل الغذاء قدْماً غِذاء
كل هذا لَقيتُهُ فأبَتْ نفـ ـسيَ إلا تَعَزُّزاً لا اخْتِتاء
وأرى ذِلَّتي تُريكَ هَواني ودُنُوِّي يَزيدني إقصاء

وليس من المستغرب ـ بعد كل ما قدمناه ـ أن تنتاب ابن الرومي صحوات من حين إلى آخر ، فيتأمل نفسه ودنياه ، ويسترجع ماعمله ، فيحس بالذنوب تثقل كاهله ، وبالمعاصي تغمره ، فلا يجد إلا الله يهرع إلى حماه طالباً منه العفو والمغفرة ، بعد أن سُدَّت الأبواب في وجهه ، ومُنِعَ مما يظن أنه أحق به من غيره من الشعراء ، تدفعه رغبَةٌ محمومة ليكون كأولئك الزهاد الذين رآهم في أماكن عبادتهم وقد انقطعوا عن الدنيا وأهلها ، لايريدون إلا عفو الله ورحمته ، حالمين بجنة عرضها السموات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين أمثالهم ، ليذوقوا ثمار ماجنوه من أعمال في دنياهم ، ويتمتعوا بما أعد اللّه لهم من نعيم .

وماقاله ابن الرومي من شعر في الزهد يغلب عليه الصدق وحسن النية ، والاستشعار بالضعف أمام الخالق ، والإنابة إليه ، والإحساس بالعجز أمام قدرته ، والحاجة الماسة إلى عفوه . ولعل ما قاله هو وغيره من الشعراء غير الزهاد ـ كأبي نُواس وابن المعتز والصَّنَوْبَرِيِّ ـ أصدق مما قاله أبو العتاهية في زهدياته ، فزهد أبي العتاهية موضع شك عند كثير من النقاد القدامى والمعاصرين ، بل إن ابن المعتز (320 هـ) يتهمه في دينه ، ويرى أنه خبيث الدين ، يذهب مذهب الثَّنَوِيَّة[13] ، كما أن أبا العتاهية بكى الدنيا كثيراً ، وبالغ كثيراً في تخويف الناس

من الموت والقبر والعذاب ، وأشاع في نفوسهم اليأس والتشاؤم والقنوط . وهو في كل ذلك يصدر عن نظرة سوداء إلى الحياة ، لعلها جاءته «من مانويته ، إذ الإسلام لايَنْعَى إلى الناس حياتهم ، ولايصورها في كروب أبي العتاهية التي تخنق الأنفاس ، والتي تجعله يقف طويلاً عند سكرات الموت ، ومايعانيه المحتضَر من آلام . .»[14] ، لكن الأمر لم يكن كذلك عند ابن الرومي . وسنفصل القول في ذلك بعد قليل .

ولم يكن الزهد غرضاً شعرياً بارزاً في ديوان ابن الرومي ، لأن ابن الرومي لم يكن ينظمه إلا أوقات الصحوات عندما يحس بالضعف والعجز والخوف ، فلا يرى إلا باب اللّه ، ولو أنه اهتم بأمر الزهد لجاء بالعجب ، لما هو معروف عنه من تقصٍّ للمعاني وتوليد لها وإلحاح عليها ، كما أن ابن الرومي لم يُعرَف بالزهد كما عُرف به أبو العتاهية مثلاً ، لذا لايُعَدُّ غرضاً بارزاً في شعره كمديحه وهجائه ووصفه مثلاً .

وكثير من معاني ابن الرومي في الزهد كمعاني غيره فيه ؛ من ذكر للتوبة ، ودعوة إلى هجر المعاصي ولاسيما الخمر ، وذمٍّ لصروف الزمان ، ودعوةً إلى الزهد في الدنيا وذمها ، والقناعة بما قسم الله لعباده من رزق ، ودعوة الناس إلى الكرم وعدم البخل لأن المال سيفنى ، ولايبقى لصاحبه إلا الأعمال الصالحة التي يعملها في دنياه ، كما دعا إلى العدل في معاملة الناس والإحسان إليهم ، وذكر الموت وأكد مجيئه في وقته المعلوم ، لكنه ركز على مابعد الموت ولاسيما الجنة التي تنتظر المتقين ، حيث النعيم الدائم .

وطريق الزاهد شاقة وطويلة ، يمر فيها بمحطات ، ويقطعها على مراحل . وأولى مراحل الزهد التوبة ، وهي ميلاد الزاهد الجديد ، ووسيلته إلى طلب المغفرة والرحمة مهما كان الذنب كبيراً ، كما يقول سبحانه وتعالى : «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة اللّه إن اللّه يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم»[15] ، وعلى الزاهد أن يتوقف عن ارتكاب الذنوب والمعاصي ، ويقرر الرجوع عنها والتوبة منها توبة لا رجعة بعدها إلى تلك المعاصي ولا إلى غيرها .

ويتساءل ابن الرومي ها هنا إلى متى يظل الإنسان سادراً في غِيِّه ، يشتري دنياه بآخرته ، مرتكباً ألوان المعاصي ، غير مستمع إلى نصائح المخلصين له؟ وإلى متى سيظل متعلقاً بآمال واهية لن يتحقق منها شيء؟ وإلى متى يبخل ويكنز المال ويشيد المنازل والقصور ، وهو يعلم أن كل هذا لن يجعله خالداً؟ ولو كان المال والبنيان يخلدان صاحبهما لكان قارون من الخالدين :[16]

نعصي الإلهَ ونعصي الناصحين لنا ... ونستجيبُ لَقَبْوحٍ ومَلعونِ
هوًى غَوِيٌّ وشيطانٌ له خُدَعٌ ... مُضَلِّلاتٌ وكَيْدٌ غير مأمون
حتى متى نشتري دنيا بآخرةٍ ... سفاهةً ونبيعُ الفَوْقَ بالدُّون
مُعَلِّلينَ بآمالٍ تخادعنا ... وزُخْرُف مِنْ غُرورِ العيشِ مَوْصون
نبني المعاقلَ والأعداءُ كامنةٌ ... فينا بكلِّ طَريرِ الحَدِّ مَسْنون
ونجمعُ المالَ نرجو أن يخلِّدنا ... وقد أبى قبلنا تخليد قارون
نظلُّ نَسْتَنْفِقُ الأعمارَ طيبةً ... عنها النفوسُ ولا نَسْخو بماعون

ويرى ابن الرومي أن على الإنسان أن يكون قانعاً بما رزقه اللّه إياه ، لايمد عينه إلى ما متّع به غيره ، لأن الرزق مقسوم من عند اللّه ، فلمَ الطمع؟[17]

أخالقي ربٌّ وربٌّ رازقي؟
ما رازقي تا اللّه إلا خالقي
فلا تُشَوِّهْ خَلَّتي خَلائقي
ولا يُعَوِّجْ طَمعي طَرائقي

ثم يبالغ في التوكل على اللّه في طلب الرزق ـ على شاكلة كثير من الزهاد ـ فيرى أن السعي وراء الرزق وعدم السعي وراءه سيان ، لأن الرزق مقسوم ، وسينال كل كائن حي رزقه المقسوم له إن اجتهد في طلبه أو لم يجتهد :[18]

ولو جَهِدَ الساعونَ في الرزقِ جَهْدَهم لما وَقَعَتْ إلا بما هي وُقَّعُ

وهذا الفهم خطير ، لأنه يشيع في الإنسان روح التواكل ، ويمنعه من السعي وراء الرزق ، ويقضي على روح العمل في الجماعة . وهذا غير صحيح لأن الإسلام أمرنا بالسعي ، وتكفل اللّه برزق من يسعى بعد ذلك .

ثم يرى ابن الرومي أن القليل من القوت الحلال مع العافية أمر حسن ، وعلى المرء ألا يحسد بعد ذلك الأغنياء لأن الدهر الذي أعطاه الغني سيسلبه منهم :[19]

إذا ما كساكَ اللّهُ سِرْبالَ صحةٍ ولم تَخْلُ من قوتٍ يَحِلُّ ويَعْذُبُ
فلا تَغْبِطَنَّ المترفينَ فإنهم على حَسَبِ ما يكسوهمُ الدهرُ يَسْلُب

ثم يدعو الإنسان إلى العدل في معاملة الآخرين والإحسان إليهم مهما كان الإحسان تافهاً وحقيراً ؛ فلعل الله يجعل فيه القبول والعتق من النار ، وإن اليد المحسنة خير من اليد المبذرة التي تتلف المال بلا نفع يعود على صاحبه يوم القيامة :[20]

قد ذُقْتُ أنواعَ الطُّعُومِ فلم أجدْ فيهن طعماً مثلَ طعمِ العافيهْ
فاقصدْ وحاذرْ أنْ تُمَرِّرَ حُلْوَهُ مما تُصيبُ وأنْ تُكَدِّرَ صافيه
فإذا جَرَتَ ريحٌ فطابَ نسيمُها فاعدلْ مخافَةَ يومِ ريحٍ سافيه
أحسِنْ فربَّ يدٍ لَدُنْكَ حقيرةٍ مَهدَتْ لِحَيْنِكَ والمضاجِعُ جافيه
واعلم بأنّ يداً تَقَدَّمَ نَفْعُها أجْدَى عليك من اليدِ المتْلافيه

كما يدعو إلى ترك شرب الخمور لأنها أُسُّ المعاصي ، ولاسيما إذا خط المشيب رأس الإنسان . والمشيب في حقيقته نذير بقرب الأجل ، وبذا يجتمع قويان على تحريم شرب الخمر ؛ الشيب والإسلام ، فإذا زيّن الشباب للإنسان

شرب الخمر ، وضلله طيشُه عن مضارها وآثامها فإن الشيب ينبهه وينهاه ، ويقف مع الإسلام في وجهه ليمنعه من شربها :[21]

شربتُ وقد كان الشبابُ مُحَلِّلاً ... من الراحِ ما كان الكتابُ مُحَرِّما
وقد طابَقَ الشيبُ الكتابَ فحُرِّمَتْ ... على فيْكَ تحريمين إنْ كنتَ مُسْلِما
ومابعد تحريمين في الكأسِ مَشْرَبٌ ... لمن كان من أهلِ الحِجا مُتَوَسِّما
وقد كان قبل الدينِ في الشيبِ واعظٌ ... لمن كان من شُرّابِها مُتَأَثِّما
كما كان قبل الدينِ في الشيبِ زاجرٌ ... لمن كان من شُرّابِها مُتَكَرِّما
فدعْ شربَها إذ أصبح الرأسُ مُشْرِقاً ... مُحاذَرَةً أن يصبح القلبُ مُظلما
ولا تُرِيَنْكَ السِّنُّ واللَّه والنُّهى ... على الشيبِ والإسلامِ واللَّوْمِ مُقْدِما

لكن ابن الرومي لم يذم شيئاً كما ذم الدنيا ، لأن الدنيا في نظره جمّاعة لكل مايسوء ؛ فهي غادرة ، وماكرة ، وجاحدة ، وغير عادلة ، ومؤذية للأجساد والأرواح ، وهي تشيب النواصي وتفرّق بين الأحبة ، وتقود الجميع إلى الهلاك ، كلها شرور ، خيرُها نازح عنها غريب ، تَغُرُّ أهلها بمعسول الأماني ، ثم يصحون على السراب . إنها في الحقيقة عدو في ثياب صديق :[22]

تَرْحــــــاً لـدارٍ إنمـا ... سكانُهـا رُفَقٌ مُـخِـبَّـهْ
تقـتـادُهم نحـو الردى ... طُرُقٌ إليـه مُـسْـتَـتِـبَّـه
دارٌ غـريبٌ خـيـرُها ... وترى الشُّرورَ بها مُـرِبَّه
آدْوَتْ وغـــابَ دَواؤُها ... عن كلِّ نفسٍ مُـسْـتَطِبَّـه
وَصَـفـتْ مـحـبـةُ أهلِهـا ... منهـا لُمْدْغلَةٍ مُـضِـبَّـه
نامـوا على صـيـحـاتِهـا ... بِهِمُ الشِّـدادِ الْمُسْـتَـهِـبَّـه

كم غَـرَّ قـومـاً حُلْوُها ... من مُـرِّها إلا الألَبَّـه
فـتـهـافـتـوا في شَـهْـدها ... فـتـهـالكوا مـثلَ الأذبَّه
مـا آنَسَ الإنسـانُ بالَدْ ... دُنيـا الدَّبوب له المُدبَّه
تغـدو عليـه عَـدُوَّةً ... ويَعُـدُّها أُمّـا وحِـبَّـه

وهذه الدنيا ليست دار فلاح ، وإنك لترى صرعاها من البشر بأم عينيك صباح مساء ، تطوف عليهم بكؤوس تحمل الموت ، فلا تترك منهم أحداً :[23]

ألا ليـست الدنيـا بدار فـلاحِ ... بعـينيكَ صَـرْعاها مساءَ صباحِ
لنا من كلا العَصْرَيْنِ ساقٍ كلاهما ... يدور فـيـسـقـينا بكأسِ ذُباحِ

ثم يشبه الدنيا بالأم ، لكنها الأم التي تقتل أولادها . والعجيب بعد كل ذلك أننا نصفيها المودة ، ونطمئن إليها :[24]

وأُمُّ سـوءٍ إذا مـا رام مُـرْتَضِعٌ ... أخلافَـها صُدَّ عنها صَدَّ مَـزْبونِ
تجـفو وإنْ عـانقتْ يوماً لها ولَداً ... كانت كـمَطْرورةٍ في نَحْرِ مَوْتونَ
ونحن في ذاك نُصْفـيـها مـودتَنا ... تَبّـاً لكلِّ سَـفـيـهِ الرأيِ مَـغْـبـونِ

ثم يتحول ابن الرومي إلى الدهر فيذمه ، لأنه يسترد باليد اليسرى ما أعطاك إياه باليمنى . إنه يقرضك ولايؤخر لك موعد السداد . وجسدك هو الذي سيسدد ذلك الدين القديم عنك ، وأنت غافل عن كل ذلك لاتحس بشيء ، لكن الدهر يسلبك مايريد شيئاً فشيئاً حتى يخلع عليك ثياب الكبر والشيب بعدما كنت ترفل في ثياب الشباب :[25]

لا تحـسبنَّ الزمـانَ يُنْسـئُكَ الـ ... ـقَـرْضَ ولكنه يداً بيـد
يعطيكَ يومـاً فـيـقـتـضـيكَ به ... مَـريرةً من مَـرائِرِ الجـسـد
يَسْـتَـرِقُ الشيءَ من قُـواكَ وإنْ ... كـان خَـفـيّـاً عن أعينِ الرَّصَـد
حـالاً فـحـالاً حـتى يُرَدِّيَكَ الـ ... ـكِبْـرَةَ بعـد الشـبـابِ والغَـيَـد

ويستعمل هذا الدهر كل الأسلحة للإيقاع بالبشر ؛ فهو يسقمهم بشتى الأمراض والأوبئة حتى لايترك عليهم غير الجلد والعظم ، ثم يكويهم بنار الحروب ، فيتركهم بين قتيل وجريح ، ومن كتب له السلامة في تلك الحروب أتاه الموت الذي لامفر منه . والغريب بعد كل هذا أن يكون الدهر أباً للبشر !(26)

أبٌ إذا بَرَّ أبلانا وأهْرَمَنا ... قُبْحاً له من أبٍ بالذَّمِّ مَلْسونِ

نُضْحي له كقداحٍ في يدَي صَنَعٍ ... فكُلُّنا بينَ مَبْريٍّ ومَسْفونِ

يغادرُ الجَلْدَ منا بعد مرَّته ... عظماً دقيقاً وجلْداً غير مَوْدونِ

نضْواً تراه إذا ماقام مُعْتَصِماً ... بالأرضِ يَعْجِنُ منها شَرَّ مَعْجونِ

حتى إذا ما رُزِئْنا صاح صائحُهُ ... ليس الخلودُ لذي نفسٍ بمضمونِ

هذا وإن عَفَّ فالأدْواءُ مُعْرِضَةٌ ... من بين حُمى وبِلْسامٍ وطاعونِ

والحربُ تُضْرِمُها فينا حوادثُهُ ... حتى نُرى بين مضروبٍ ومطعونِ

فالدهر أب والدنيا أم . ولكنْ قبحاً لهما من أب وأم ، وحَرِيٌّ بالأبناء أن يعقوهما وليس عليهم إثم في ذلك ، لأنهما شر مقرون ، ولم ينجبا الناس إلا ليذبحاهم بعد أن يسمِّناهم ويربِّياهم :(27)

ووالدينِ حَقيقٌ أنْ يَعَقَّهما ... راعي الأمورِ بطَرْفٍ غيرِ مَكْمونِ

أبٌ وأمٌ لهذا الخلقِ كلِّهمُ ... كلاهما شَرُّ مَقْرونٍ بمقرونِ

دهرٌ ودنيا تُلاقي كلَّ مَن وَلَدا ... لديهما بِمَحَلِّ الخَسْفِ والهُوْنِ

للذَّبْحِ مَن غَذَوَا منا ومَن حَضَنا ... لا بل ومَن تَرَكاه غيرَ مَحْصونِ

إنْ رَبَّيا قَتَلا أو أسْمَنا أكَلا ... فما دَمٌ طَمِعا فيه بِمَحْقونِ

واللافت للنظر في ذم الدنيا والدهر أن معظم الشعراء يذمونهما من غير أن يكونوا قد تعرضوا كثيراً لمصائبهما . وأغلب الظن أن ذمهما صار تقليداً فنياً أكثر منه تعبيراً حقيقياً عن واقع مر يعيشه الشاعر ، أو لأن الشاعر عندما لايحقق مايريد من طموحات وأمجاد يعزو أسباب إخفاقه إلى الدنيا والدهر اللذين لم يقدراه حق قدره ، ولم يعطياه مايستحق من مكانة ، فقدّما عليه من هم أقل منه شاعرية وفصاحة ، بل إنهما قدما عليه من لايستحق التقديم ، ومن لايستحق أن يكون شاعراً .

وهذه الاحتجاجات لايكاد يخلو منها شعر شاعر . ولم يكن شاعرنا ابن الرومي خارجاً على هذه المقولة ، لكنه أقرب من غيره إلى حقيقة ماكان يقوله عن الدنيا والدهر ؛ فقد عاش حياة قلقة ، تتدافعه أبواب الممدوحين وتزدريه ، وتنزله مكانة لايستحقها ، بل يستحق الأعلى منها قياساً على من كان في عصره من الشعراء الكبار أمثاله . وهذه النظرة إلى زمانه صحيحة من وجهة نظره هو ، لأنه لم يكن يفطن إلى عيوبه والمآخذ التي أخذها معاصروه على شخصيته وشعره . فالمهم هاهنا مايعتقده هو ، وليس ماهو في الحقيقة ، ثم إن الدنيا والدهر ـ كما يعتقد ـ سلباه أهله وأحبته باكراً ، وقضيا على ممتلكاته ، وأصاباه في جسده إصابات كثيرة ، فأي خير سيرجوه منهما؟

وكان ابن الرومي يخاف من الموت خوفاً ملك عليه تفكيره وأحاسيسه ، وجعله يراه شيئاً مرعباً . وكيف لايراه كذلك وقد أخذ منه كل من يحب ؛ أمه وخاله وخالته وشقيقه وزوجته وأولاده ، ولا سيما ولده محمداً الذي تساقطت أنفاسه نفَساً نفساً وهو بين ذراعيه ينزف دماً ، والمغنية بُسْتاناً التي كان يحبها لغنائها وجمالها؟ ولشدة خوفه من الموت لم ير في موت أخيه سوى نذير ينذره بأنه سيلحق به قريباً :[28]

وتُسْلِينَي الأيامُ لا أنّ لوعـــتي ... ولا حَزَني كالشيءِ يُنْسَى فَيَعْزُبُ
ولكنْ كَفاني مُسْلِياً ومُعَزِّياً ... بأنّ المَدى بيني وبينك يَقْـــرُب

لكن ابن الرومي أقبل على الحياة بكل جوارحه على الرغم من خوفه من الموت ، لأنه لم يجد في الموت خلاصاً من آلامه ومحَنه وإخفاقاته المستمرة ، بل على العكس من ذلك تماماً رأى في الحياة منسياً لَهمومه ومِحَنِه ، فأقبل عليها إقبال من يرى حلوى لذيذة في واجهة دكان ، فإذا حصل عليها راح يصف سعادته بها ، ويصور الدنيا من خلال تلك السعادة ، وإن لم يحصل عليها تَلَمَّظَ شهوةً وحرماناً ، وأشاح بوجهه عنها ، وراح يشتم الدنيا والزمان ويلعن سوء حظه ، ويحمِّل الآخرين أسباب إخفاقه في الحصول عليها ، من غير أن ينسى أمر تلك الحلوى أو يكرهها .

هكذا كان موقف ابن الرومي من الحياة ؛ يحبها على قدر استجابتها له ، وعلى قدر تمكُّنه من ملذاتها ، يصف اللحظة التي تمر به ، من غير أن يكون لها علاقة باللحظات الأخرى السيئة التي لاتعجبه . الحياة في نظره مُتَعٌ ولذائذ ، ورضاهُ عن هذه الحياة مرهون بحصوله على تلك المتع واللذائذ ، فمرة يحصل علَى مايريد فإذا الدنيا في نظره بحر من السعادة والصور الجميلة الملونة ، ومرات كثيرة يخونه الحظ فيرى الحياة صحراء مقفرة ، وأمّا غادرة قاسية . لذا ظلت علاقته بالحياة تترجح بين الرضا والسخط ، فلم تتحول إلى كره دائم ، أو حب دائم ، أو خوف دائم .

لكن مشكلته الحقيقية في النظرة إلى الحياة كانت في عدم مقدرته على الفصل بينها وبين أهلها ؛ فقد نظر إلى الحياة من خلال الناس ، ولم ينظر إليها على أنها شيء مستقل ، لذا اتسمت نظرته إليها بشيء من التشاؤم والسواد لأن أهلها لم يحسنوا معاملته ، ولم يقدروه حق قدره كما يحب هو ، فنقل موقفه من الناس إلى الحياة ، وجعلهما شيئاً واحداً لاينفصل . وبهذا الإحساس نستطيع أن نفهم قوله يحبب الموت إلى الناس ، ويجعله أماناً لهم من خوفهم من لقائه ، وخلاصاً من الظالمين الذين لاينصفونهم :[29]

قد قلتُ إذ مدحوا الحياةَ فأكثروا ... للموتِ ألفُ فَضيلةٍ لاتُعْرَفُ

فيه أمانُ لِقائِهِ بِلِقائِهِ ... وفِراقُ كلِّ مُعاشِرٍ لايُنْصِف

فموقفه ها هنا من الموت تعبيرٌ عن إحساس عابر ، وليس تعبيراً عن موقف راسخ أو دائم .

والموت عنده قضاء محتوم ، يأتي في موعده ، ولايخطئ من يقصده ، لذا لايستطيع أحد أن يفلت من قبضته :[30]

كلُّ نفسٍ لِمَوْقِتٍ ليس حيٌّ بِمفْلِتِ

والموت أيضاً حصاد والناس زروع يغدو عليها الحصاد ويروح :[31]

كلُّ زرعٍ فإنه لحصادِ والمنايا روائحٌ وغوادي

وهذا الموت لايهاب أحداً ولو كان ملكاً أو أميرا ؛ فالأمير محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين كان فارساً مغواراً يحيط به فرسانه وجيشه القوي ، وقد اعتاد هذا الأمير التغلب على أقرانه من الفرسان والأبطال ، لكنه لم يستطع التغلب على الموت ، فانكسر أمامه ، واستسلم له راغماً :[32]

إنّ المنيةَ لاتُبقي على أحدِ ولا تهابُ أخا عزٍّ ولا حَشَدِ
هذا الأميرُ أتته وهْو في كَنَفٍ كالليلِ منْ عُدَدٍ ما شئتَ أو عَدَدِ
منْ كُلِّ مُسْتَعْذبٍ للموتِ دَيْدَنُهُ بَزُّ الكُماةِ ولُبْسُ البيضِ والزَّرَدِ
مُعتادةٌ قَنَصَ الأبطالِ شكَّتُهُ يَرى الطِّرادَ غداةَ الرَّوْعِ كالطَّرَدِ
كأنه الليثُ لا تَثني عزيمَتَه إلا عزيمتُه أو جُرْعَةٌ النَّفَدِ
ولم تزل طَوْعَ كفّيه يُصَرِّفُها بين الأنامِ ولاتَعصيه في أحدِ
حتى أتاه رسولُ الموتِ يُؤذنُهُ أنّ البقاءَ لوجهِ الواحدِ الصَّمدِ

ولابن الرومي قصيدة مؤثرة ينصح فيها الإنسان بالابتعاد عن الغواية ، وبالعودة إلى طريق الهداية والصواب قبل أن يدركه الموت ، ثم يُخَيِّلُ إلى هذا الإنسان أنه مات ، وترك مالديه من أموال وقصور ليسكن في قبر موحش ، حيث

يأتيه الملكان الموكلان بمحاسبته ، ثم يسلمانه للدود يرعى جسده ، في حين نسيه أهله ، وراحوا يتمتعون بما تركه لهم من أموال من غير أن يحمدوا له ذلك أو يدعوا له بالمغفرة والرحمة ، ثم يخاطبه مذكراً إياه بمن ودع من الأحبة والأهل عندما كان حياً ، ويقول له : انظر إلى أهليهم هل بكوا عليهم وتذكروا بالدعاء أم أنهم نسوهم؟ إن حالك ستكون كحال مَنْ دفنتَ ، وسيكون حال أهلك كحال أهلهم ، لذا عليك أن تعد العدة لليوم الذي ستموت فيه ، لأن ما أعددته من مال وجاه وأهل وأحبة لن ينفعك شيئاً :[33]

نَبْلُ الرَّدى يَقْصِدْنَ قَصْدَكْ ... فَأَجِدَّ قبل الموتِ حَدَّكْ

قد عَدَّ قبلكَ مَنْ رأيْـ ... ـتَ ولستَ تَلْبَثُ أن يَعُدَّك

فدعِ البطالةَ والغوا ... يَةَ جانباً وعليكَ رُشْدَك

فكأنني بك قد نُعِيْـ ... ـتَ وقد بكى الباكونَ فَقْدَك

وتركتَ منزِلَكَ المَشيـ ... ـدَ مُعَطَّلاً وسكنتَ لَحْدَك

وخَلَوْتَ في بيتِ البلى ... وخلا بك الملكانِ وحدك

وسَلاكَ أهلُك كلُّهم ... ونَسُوا على الأيامِ عَهْدَك

يتمتَّعونَ بما جَمَعْـ ... ـتَ ولا يَرَوْنَ عليه حَمْدَك

مُتَمَهِّدينَ وأنت تحـ ... ـتَ الرَّمْسِ يرعى الدودُ جلدك

قد سَلَّموكَ إلى الضَّريـ ... ـحِ ووسَّدوا بالتُّرْبِ خَدَّك

كم قد دفنت أحبَّةً ... حَلُّوا مَحَلَّ النفسِ عندك

انظرْ إلى أهليهمُ ... فكذلك الباقون بعدك

فانظرْ لنفسِكَ مُكْمِلاً ... فيما يحبُّ اللهُ جُهْدَك

وواضح في هذه القصيدة وفي غيرها من القصائد التي تتكلم على الموت أن ابن الرومي لايخيفنا من الموت ومايتبعه من ذكر للقبر وما فيه من إخافة وعذاب ، ومن ذكر للحساب الشديد الذي ينتظر العاصي ، حيث العذاب والآلام ، كما كان يفعل أبو العتاهية مثلاً ، لأن ابن الرومي هو نفسه خائف من الموت ، فكيف سيخيفنا منه؟ ثم إنه اكتفى بإشارات عابرة إلى القبر حيث الملكان الموكلان بسؤال الميت ، وحيث الدود يرعى جسد الميت ، ثم انتقل بسرعة إلى جانب آخر بعيد عن الخوف ، بل بعيد عن الموت نفسه ، إذ أرجع الميت إلى الحياة ليذكِّره بأهله الذين نسوه وهم منشغلون بأمواله التي تركها لهم ليتمتعوا بها ، كما يذكِّره . بمن ودع من أحبة عندما كان حياً ليوضح له الفكرة التي ساقها عن نسيان أهله له وعدم انشغالهم به ، ثم يختم القصيدة بتذكير الإنسان بالاستعداد ـ بالعمل الصالح ـ لذلك اليوم الآتي في موعده بلا ريب .

وسرعان مايترك ابن الرومي الحديث عن الموت إلى حديث آخر ليس فيه خوف ولارعب ولا وحشة ، حديث يحمل في طياته كل ألوان الترغيب التي تحفز المؤمن على فعل الأفعال الصالحة في دنياه ليفوز بما يحدثه عنه ابن الرومي . وابن الرومي هاهنا يبتعد كثيراً عن أسلوب أبي العتاهية في الترهيب والتخويف بذكر ماينتظر العاصي من ألوان العذاب يوم القيامة ، لأن ابن الرومي لم يكن يستطيع التفكير إلا في عفو ربه وما أُعِد من نعيم لمن ينال ذلك العفو ، لذا ترك الحديث عن العذاب ، واكتفى بالحديث عن مظاهر النعيم المختلفة التي تنتظر الأتقياء ، أي إنه يركز على الجانب الجميل المشرق في الغد بعد الموت ، لعل هذا الجانب يرغّب ذلك الإنسان بالتقوى بدلاً من تخويفه من العذاب كما كان يفعل أبو العتاهية .

ولابن الرومي أكثر من قصيدة يصور فيها ماينتظر الأتقياء يوم القيامة ، وقد استقى معانيه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، حيث يكثر الكلام على الجنة ومافيها من نعيم .

وقد صوّر في إحدى قصائده جماعة من الأتقياء دخلوا الجنة ، ولبسوا

الحرير من الثياب ، وجلسوا على سرر متقابلين ، يشربون من خمر الجنة ، وقد تلقاهم ربهم مُرَحِّباً بهم ، متجلية عن وجهه الكريم حجب النور :[34]

مَـثِّلِ الأوليـاءَ في جنـةِ الخُلْـ ـــد إذا مـا تقـابلوا إخـوانـا
قـد تعـالَوْا علـى أسـرَّةِ دُرٍّ لابسينَ الحـريـرَ والأَرْجُـوانـا
وعليـهم تيـجـانُهم والأكـاليـ ـــلُ تُباهي بُحسْنِها التيـجانا
يتـعـاطَوْنهـا سُلافاً شَمـولاً في جنـانٍ مـجـاورات جنانـا
يتلقـاهم بقـول حَـفِـيٍّ مرحباً مرحبـاً بكـم رُكْبانـا
وتجلَّتْ عن وجـهِـهِ حُـجُبُ النو رِ فـسبحان وجهِهِ سبحانا

ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الحوريات الفاتنات اللواتي أرسلن شعورهن المطيبة بالمسك حتى وصلت إلى أردافهن ، وقد فاقت أنوارهن أنوار البدر والشمس ، فاستقبلنهم بالتحية والأشواق والرياحين ، وعبّرْنَ لهم عن لهفتهن لقدومهم ، ثم رُحْنَ يُقَبِّلْنَهم قبلات أحلى من الماء العذب على قلب الظمآن ، فاطمأن أولئك الأتقياء ، ونزلوا في مقاصير أُعدَّت لهم ، وقضوا أوقاتهم هانئة وهم يتزاورون ويزورون ربهم ، ثم يخلون بالحَوريات من جديد كلما تشوّقوا إلى أوطانهم :

ثم آبـوا فاسـتقبلتهم حِسـانٌ من بناتِ النعيـمِ فُقْنَ الحِسـانا
بوجـوهٍ مثلِ المصـابيحِ لايَعْـ ـــرِفْنَ إلا الظـلالَ والأكنانـا
مُـرْسِـلاتٍ على الرَّوادفِ منْهُنـ ـــنَ فُـروعـاً تَمُجُّ مِسْكاً وبانـا
لو رأى البدرُ بعضَهنّ أو الشمـ ـــسُ لَـذَلاّ لوجهِـها واسـتكانا
فَـتَلَقَّيْنَـهم بـأهلاً وسـهلاً رافعـاتٍ إليـهمُ الرَّيحـانـا
كُـنَّ بالأوليـاءِ مُـفْتَتِنـات ثم زيدوا نـوراً فـزِدْنَ افـتتانـا
فـتَراهنّ مُـقْبِـلاتٍ عليـهم بابتـهاجٍ قد عَـصْفَـروا الألوانـا

راشفات أفواهَهم رَشْفَكَ المـا ءَ إذا مـا شـربتَه ظمآنـا
قائلات عِيْلَ التَّصَبُّرُ عنكم فانزلوا آن أنْ نراكم وحانا
فَثَنَوْا أرجلَ النزول وحَلُّوا في المقاصير لابسين أمانا
تارةً بعضُهم يزورون بعضاً ويزورون ربَّهم أحيانا
ثم يَخْلون بعد ذلك بالحو رِ إذا ما تَشَوَّقوا الأوطانا

واللافت للنظر في وصف ابن الرومي للجنة تركيزه على الحوريات ، وإسهابه في وصفهن ، وبعث الحرارة في ذلك الوصف ، وكأنه يتمنى أن يكون من هؤلاء الأتقياء ليحظى بما حظوا به من نعيم ولاسيما الحوريات ، وذلك عن طريق تجسيد صورة الحورية في مثال جمالي يعرفه العرب ويحبونه ، لكنه مثال عفيف في النهاية لأن المقام لايسمح بغير ذلك . ولعل الإلحاح على ذكر الحوريات تعويضٌ نفسيٌّ عن الإحباط الذي لقيه في دنياه مع النساء بسبب ضعفه الجنسي ، وأن الحوريات مبذولات أمامه ، يعرضن أنفسهن عليه ، وهو قادر على وصالهن ، في حين نفرت المرأة في الدنيا من ابن الرومي ، وتعززت وتمنعت عليه . ولعل لحرمان ابن الرومي من النساء أثراً كبيراً في ذلك الوصف ؛ فقد ماتت زوجته شابة ، وأغلب الظن أنها الزوجة الوحيدة في حياته إذ لاتوجد إشارات في ديوانه ولا في أخباره إلى زواج ثان ، كما تشير أخباره وأشعاره إلى سقمه وضعفه الجنسي ، حتى إن بعض معاصريه اتهمه بالعنانة ، وبأنه مخنَّث[35] ، كما أكد ـ هو نفسه ـ ضعفه الجنسي في أكثر من موضع في شعره[36] ، وإن زعم أن الشيب هو المسؤول عن ذلك الضعف[37] ، وقد أشار أيضاً إلى أنه يبيت فلا ضجيع يدفئه في الشتاء[38] ، وإلى أنه كان كثير الاحتلام في نومه لأنه لم يستطع أن يصل إلى المرأة حتى في المنام[39] ، وإلى أنه كان يضطر إلى أن ينكح يده ![40]

ولعل شاعراً لم يصف الزهاد وهم في خلواتهم كما وصفهم ابن الرومي ، وكأنه كان معهم ، ولعله كان يراهم في خلواتهم في المساجد

والرباطات حقاً ، أو أنه كان يتخيل مايصنعون وهم فيها ، ولعله كان يصف نفسه عندما كانت تنتابه تلك الصحوات الطارئة ، فيؤوب إلى ربه وقد استشعر الخوف من العذاب الذي سينتظره بسبب ما ارتكبه من معاص وآثام ، فيلزم الصلاة ، ويكثر من الاستغفار ، ويقوم ليله متعبداً خاشعاً ، وقد بلل الدمع خديه ، يدعو اللّه ليغفر له خطاياه بقلب خاشع ونفس منكسرة :[41]

بات يدعو الواحدَ الصَّمدا ... في ظلامِ الليلِ منفردا
خادمٌ لم تُبْقِ خِدْمتُهُ ... منه لا روحاً ولا جسداً
قد جَفَتْ عيناه غَمْضَهما ... والخَلِيُّ القَلْبِ قد رَقَدا
في حَشاه مِنْ مَخافتِه ... حُرُقاتٌ تَلْذَعُ الكبدا
لو تراه وهْو مُنْتَصِبٌ ... مُشْعِرٌ أجفانَه السُّهدا
كلما مرَّ الوعيدُ به ... سَحَّ دَمْعُ العينِ فاطَّرَدا
ووَهَتْ أركانُه جَزَعاً ... وأرتَقَتْ أنفاسُه صُعُدا
قائلٌ : يا مُنتهى أملي ... نَجِّني مما أخاف غدا
أنا عبدٌ غَرَّني أملي ... وكأن الموتَ قد وَرَدا
وخطيئاتي التي سَلَفَتْ ... لستُ أُحصى بعضَها عَددا
فليَ الويلُ الطويلُ غداً ... ليتَ عُمري قبلها نَفِدا

ويصور في قصيدة أخرى مجموعة من الزهاد جمعهم الخوف من الله ، والطمع برضاه عنهم ، فسهروا ليلهم ، وهجروا نومهم ، وقاموا إلى الصلاة والعبادة والاستغفار بقلوب خاشعة وعيون دامعة ، يرجون رحمة ربهم وعفوه ورضوانه ، فتقبل منهم ربهم دعواهم ، وأمن روعاتهم ، وأكد لهم صدق ماوعدهم به من مغفرة :[42]

تتجافى جُنوبُهمْ عن وَطِيْءِ المَضاجِعِ
كلهم بين خائفٍ مُسْتَجيرٍ وطامع
تركوا لَذَّةَ الكَرى للعيونِ الهواجع
لو تراهم إذا همُ خَطَروا بالأصابع
وإذا هم تأوّهوا عند مَرِّ القَوارع
وإذا باشروا الثَّرى بالخدودِ الضَّوارع
واستهلَّتْ عيونُهم فائضاتِ المدامع
ودَعَوْا يا مليكَنا ياجميلَ الصَّنائع
أُعْفُ عنا ذنوبَنا للوجوهِ الخَواشع
أنت إن لم يكنْ لنا شافعٌ خيرُ شافع
فأُجيبوا إجابةً لم تَقَعْ في المسامع
ليس ما تصنعونه أوليائي بضائع
تاجروني بطاعتي تربحوا في البَضائِع
وابذُلوا لي نفوسَكم إنها في ودائعي

ثم يشخِّص الجنة ، فيجعلها إنساناً يشتاق إلى أحبته من هؤلاء الزهاد الخاشعين المتقين ، وينتظر رجوعهم إليه بعد طول غياب :[43]

إلى الزهاد فِي الدنيا جنانُ الخُلْدِ تشتاقُ

وأخذت معالم التصوف ومبادئه تتضح «**منذ أوائل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، حتى لتنشأ طبقة تحاضر فيه مثل يحيى بن معاذ . . ومثل أبي حمزة الصوفي المتوفى سنة 269 ، وهو أول من تكلم ـ على رؤوس المنابر**

ببغداد ـ في اصطلاحات الصوفية ؛ من صفاء الذِّكْر ، وجَمْع الهمة ، والعشق ، والقُرْب ، والأنس»[44] . وليس من المستبعد أن يسمع ابن الرومي ـ الشغوف بالعلوم ـ بالتصوف ، ويطلع عليه كما اطلع على علوم عصره الأخرى ، وأن ينظم فيه شعراً . ولعل ابن الرومي من أوائل الشعراء الذين تكلموا على المحبة الإلهية «وما يتصل بهذه الفكرة من إنكار الذات ومن التوكل على الله توكلاً خالصاً»[45] . ومن المعلوم أن الفرق الأساسي بين الزهد والتصوف يكمن في المحبة ؛ فالزاهد يعبد الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته ، والصوفي يعبده لأنه يحبه ، ولأنه إله جدير بأن يعبد .

ولعل ابن الرومي وجد في الله سبحانه وتعالى الحبيب الذي لا يغدر بمحبوبه ، بل يقدر حبه له حق تقديره ، فيدنيه منه ، ويغمره بمحبته الإلهية ، فيجد ابن الرومي عندئذ الوفاء الذي لم يجده في أهل زمانه ، والأمان الذي عاش حياته يبحث عنه ، لذا يمكن أن يكون ابن الرومي هو ذلك الزاهد الصوفي الذي وصفه في أبياته التي سنشير إليها بعد قليل . وهذا ليس بمستبعد ، لأن الله يقلّب القلوب ويثبتها كيف يشاء ، ولعل ابن الرومي ـ في لحظة صحو وصفاء نفس ـ اتجه إلى خالقه هذا الاتجاه ، وأحس بتلك المشاعر والأحاسيس نحوه ، فقال ما قال ، لأن النفس الإنسانية غامضة كل الغموض ، ومعقدة كل التعقيد ، ولا تزال لغزاً محيراً ، ولا سيما إذا كان صاحبها رجلاً مزاجي الطبع كابن الرومي ، سريع التغير والانقلاب ، يعيش اللحظة الحاضرة بكل مشاعره وجوارحه ، فإذا انتقل إلى غيرها عاشها بكل جوارحه أيضاً ، من غير أن يكون هنالك تناقض .

وأبيات ابن الرومي في المحبة الإلهية تعد من أوائل الشعر الصوفي في القرن الثالث الهجري ، يصف فيها صوفياً يمضي ليله في العبادة ، وقد أخذ التعب من جسده كل مأخذ ، فلا يعبأ به ، بل ينهكه في طاعة الله والتقرب إليه ، لعل حبيبه الله يرضى عنه فيدخله الجنة ليكون بقربه ، من غير أن يفكر في الحوريات ومظاهر النعيم الأخرى ، لأن قربه من الله الحبيب هو النعيم كله[46] .

ذكَـرَ الحـبـيبَ فـقـام فَـرْدا وجَـفا الكرى شَعَـفاً ووَجْـدا
ذِكَـراً تُصـيبُ لوَقْـعِـهِنْـ ـنَ على غَليلِ القلبِ بَرْدا
واسـتنهضَ البـدنَ الكَليـ ـلَ فـزادَه نَهَكاً وكَـدّا
لم يَضْطَجِعْ إلا ليَـعْـ ـفِـرَ في ترابِ الأرضِ خـدا
يا حُـسْنَهُ يدعـو الحـبـيـ ـبَ إذا رُواقُ الليلِ مُـدّا
يا سـيـدي إني رضِـيـ ـتُكَ سيداً فَلأُرْضَ عـبداً
يا سـيـدي أنت الذي يَمَّـمْتُ دون الحـورِ قَـصْـدا
ولقـد أحـبَّكَ مَـعـشـرٌ لِتُـشـيـبَـهم مُلْكاً وخُلْدا

خصائص شعر الزهد عند ابن الرومي

يلتقي شعر الزهد عند ابن الرومي بشعر غيره من الزهاد وغير الزهاد حيناً ، ويختلف عنه حيناً آخر ، لأن ابن الرومي كان يكتب من خلال إحساسه الشخصي بما يمر به في أثناء الصحوة ، ولا يكتبه تقليداً لغيره من الشعراء ، أو لأن شعر الزهد من الأغراض الشعرية الرائجة في عصره ، ولو أراد ذلك لسبق كثيراً ممن كتبوا في الزهد . ومعروف عن ابن الرومي قدرته العجيبة في قول الشعر وإطالته حتى الإملال . لكن رديء ابن الرومي في الزهد ـ عموماً ـ خير من رديء غيره فيه ، وجيده كجيدهم وربما جاء أفضل منه ، لما يخفيه وراءه من صدق في التناول ، وعفوية في التعبير .

ويمكن ملاحظة السمات التالية في زهدياته :

1 - **الابتعاد** عن **التهويل والتخويف** في وصف مشاهد الموت والقبر والعذاب والنار ، والإكثار من ذكر الجنة وما فيها من نعيم للترغيب فيها ، وحث المسلمين على التقوى والابتعاد عن ارتكاب المعاصي إذا كانوا يرغبون في مستقبل خيّر كالذي وصفه لهم ، لأنه كان يحب الحياة ومافيها من

ملذات ، ويكره الموت ومافيه من منغصات وعذاب ، ولذا ركز على وصف نعيم الجنة الذي حرم منه في حياته ، فذكر الموت ذكراً عابراً ، وإشار إليه إشارات من بعيد ، وكأنه يؤدي واجباً نحوه بلا حَماسة وبلا اهتمام ، على عكس أبي العتاهية الذي يكثر من إخافة الناس بذكر الموت ومايتبعه من عذاب وألم ، حتى تحول ديوانه إلى مآتم ومشاهد سود مفزعة ، تكرّه الإنسان بالدنيا ، وبحياته ، وبكل مايحب ومن يحب ، وتجعل المجتمع الإسلامي مجتمع متخاذلين ومتواكلين وسلبيين .

2 - **السهولة والوضوح في المعاني وفي أسلوب عرضها** : لأن الزهد ـ كما يقول أبو العتاهية ـ «ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ، ولاطلاب الغريب ، وهو مذهب أشْغَفُ الناس به الزهادُ وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة . وأعجَبُ الأشياءِ إليهم مافهموه»[47] . وقد لخص أبو العتاهية جوهر القضية ، إذ ربط الشعر بمتلقيه ، فجعله يتلون بألوان مختلفة ، تبعاً لاختلاف المتلقين ، فإذا أراد الشاعر مخاطبة الملوك فعليه أن يجوّد شعره ، ويتفنن فيه ، ويختار ماينا سبهم لينال إعجابهم وعطاءهم ، وأما إذا أراد أن يخاطب رواة الشعر وطلاب الغريب فعليه أن يُغْرِبَ في اللفظ ، وأن يحاكي أساليب القدماء في التعبير والتصوير ، وأما إذا أراد أن يخاطب الزهاد والعامة فعليه أن يختار لهم الأسهل معنًى ولفظاً ، والأقرب إليهم فهماً . وقد طبق أبو العتاهية هذا القانون على شعره فجاء كما أراد . ويبدو أن هذا الكلام صار قانوناً يطبقه من جاء بعده ومن أراد النظم في هذا الفن ، ومنهم ابن الرومي الذي يقول :[48]

كلُّ نفْسٍ لِمَوْقِتٍ ليس حيٌّ بِمُفْلِتِ

أو كقوله :[49]

كلُّ زرعٍ فإنه للحصادِ والمنايا روائحٌ وغَوادي

وهذان البيتان يشبهان الكثير من أبيات أبي العتاهية في الزهد ، وهما قريبان من أفهام الناس البسطاء الذين يعجبهم مايقدرون على فهمه .

3 - **تكرار المعنى الواحد في أكثر من رَويٍّ** : وهذا التكرار يعم شعر ابن الرومي كله ؛ إذ يلجأ إلى عرض المعنى الواحد في أكثر من حرف روي ، يورده كما هو حيناً ، ويضيف إليه شيئاً حيناً آخر ، ويفصل فيه حيناً ثالثاً . فالزهاد يبللون الأرض بدموعهم تضرعاً إلى الله . وهذا المعنى يقدمه ابن الرومي في رَوِيَّيْنِ ؛ فيقول في روي الباء :[50]

فَرَضَ الخوفُ دمعَهُ لِثَرى الأرضِ مَشْرَبا

ثم يقول في روي العين :[51]

وإذا باشروا الثرى بالخدودِ الضَّوارِعِ
واستهلّت عيونُهم فائضاتِ المدامع

ومن الواضح أن المعنى واحد في الموضعين ، لكن حرف الروي يختلف .

4 - **الاستمداد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة** : وهذا شيء طبيعي ، لأن الزهد إسلامي المنشأ ، ولأن معانيه كلها تدور حول التزهيد في الدنيا وذكر الموت والعذاب والآخرة والثواب والعقاب والقناعة والتوكل والرضا والعدل والتقوى . . وكلها معان يدور عليها القرآن الكريم ويفصل القول فيها الحديثُ الشريف ، ولأن هذا الشعر موجَّه إلى مسلمين يريدون الخلاص من النار والفوز بالجنة . ويطول بنا المقام لو رحنا نتتبع مصادر كل معنى شعري في القرآن الكريم والحديث الشريف . ولا بأس بمثال واحد على ذلك ، وهو قول ابن الرومي يصف الزهاد :[52]

تتجافى جُنوبُهم عن وَطِيْءِ المَضاجعِ
كلُّهم بين خائفٍ مُسْتجيرٍ وطامع

فهذه صفة المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله : «**تتجافى جُنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** . .»[53] . وكأن البيتين السابقين شرح حرفي للآية الكريمة ، لكنه موزون مقفى .

5 - **غلبة الجد والحزن** : وهذا أمر طبيعي ، بل إنه مطلوب في هذا المقام ، لأن الزهد في حقيقته لايحمل مايضحك ، وإن كان ذكر الجنة ومافيها من نعيم أمراً مفرحاً ، لكنه لايغادر الجد ، ولا يأتي إلا بعد ذكرٍ طويل للموت والعذاب وغير ذلك من معانٍ محزنة .

6 - **الوعظ والتقرير** : ويعني بهما أن يتحول الشاعر إلى واعظ أو خطيب ، يأمر الناس وينهاهم ، ويوجههم وينصحهم ، وربما يؤنبهم . والوعظ والتقرير مستقبحان في الشعر لأنهما يبعدانه عن الفن والإيحاء والإشارة ، ولأنهما يحملان كثيراً من المباشرة في إيراد المعاني ، ويقللان من الخيال ، لكنهما مقبولان في شعر الزهد مالم يطغيا عليه ، لأن شعر الزهد في حقيقته يعتمد على أدوات الوعظ والتقرير كثيراً في توصيل الفكرة إلى المستمع ، وفي التأثير فيه ، ولعل غاية التأثير تأتي قبل الغايات الأخرى . وأهم هذه الأدوات : الشرط والأمر والنهي والطلب . وقد وقع في هذه السمة معظم الشعراء الذين نظموا في الزهد ، ولكن بنسب متفاوتة . ولعل ابن الرومي كان أقلهم وقوعاً في هذه السمة ، وإن لم تَخْلُ زهدياته منها . من ذلك قوله يخاطب الوزير القاسم بن عبيد اللّه :[54]

الخيرُ مصنوعٌ بصانعه ... فمتى صنعتَ الخيرَ أعْتَقَكا
والشرُّ مفعولٌ بفاعله ... فمتى فعلتَ الشرَّ أعْطَبَكا
فاحْرِصْ على ألاّ تُسيءَ عسى ... ألاّ يكونَ النَّحْسُ كَوْكَبكا
واعلمْ بأنّ اللّه منتقمٌ ... فاجعلْ تُقاةَ اللّه مَهْرَبَكا
لاتحسبنّ اللّه مُطَّرِحاً ... مَنْ بِتَّ تضحكُ منه حين بكى

فَـأنبْ إليـه تَصبْكَ رحـمـتُـهُ وارهَبْ إذا مـــا الـلّه أرْهَبَكا
ومـتى أقـالَكَ فـاخْشَ سَطْوَتَهُ فـــهـــو القـــديرُ إذا تَطَلَّبَكا
لا تُطْمِـعَنَّكَ فـيـــه رأفـتُـهُ إنّ المَطامعَ تَنْصِبُ الشَّـــبَكا

ففي هذه الأبيات كل الأدوات التي أشرنا إليها ؛ من شرطٍ (فمتى صنعت الخير أعتقكا ـ فمتى فعلت الشر أعطبكا ـ متى أقالك فاخش سطوته) ، وأمر (فاحرصْ ـ واعلمْ ـ فاجعلْ ـ فأنبْ وارهبْ ـ فاخشَ) ، ونهي (لاتحسبنَّ ـ لاتطمعنك) ، وطلب (فأنب إليه تصبْك) . وهذا الأسلوبَ الوعظي يذكرنا بكلام الخطباء على المنابر أيام الجمع والأعياد ، وما يتضمنه من نصح وإرشاد وتهديد ووعيد . وأسلوب وعظ الخطيب حسنٌ في موضعه لكنه ليس حسناً في الشعر .

7 - **التأثر بالمنطق والفلسفة** : وهذا أمر طبيعي أيضاً في عصر شاعت فيه العلوم العربية وغير العربية عن طريق الترجمة والتعريب والتأليف ، فأصاب الناس من هذه العلوم على قدر مشاربهم وأهوائهم واهتماماتهم ، ومنهم ابن الرومي الذي كان مولعاً بالفلسفة والمنطق كثيراً حتى تركا آثاراً واضحة في شعره كله[55] . من ذلك قوله يصف حوادث الزمان :[56]

غـيَـرُ الحـيـاة إلى الشُّعـــو ر سـريعـةٌ وإلى الثُّـغـــور
فـتـراهمـــا يتـغـيـــرا نِ وكلٌّ عـضـو ذو وُفـور
هـذي تُشـــيـبُ وهـذه تَبْلى على مَـرِّ العـصـــور
يَسْـوَدُّ أبـيـضُـهـا ويَبْـــ ـيَضُّ البَهـيمُ بغـيـرِ نور
حـتى إذا غـيـرُ المـمـــا ت أتتْ على أهلِ القـبـور
بدأ البلى بسـوى الثُّـغُـو ر هنالكُم وسوى الشُّعور
فـالموتُ يَستـبقي الـذي تُبْلى الحـيـاةُ مـنَ الأمـور
والعـيشُ يستـبـقي الذي تُبْـلـى المنيـةُ غـيـرَ زُوْر

فأثر المنطق والفلسفة بأقْيِستَهما الصارمة واضح تمام الوضوح في هذه الأبيات ؛ فقد جعل الحياة والموت يصيبان أعضاء الإنسان بالتغيير ، ولكنَّ ما تغيره الحياة هو عكس مايغيره الموت ، ثم يبدأ في التفصيل المنطقي ؛ فالحياة تغير شعر الإنسان من السواد في شبابه إلى البياض في شيخوخته ، وتجعل أسنانه تسودّ حتى تتآكل وتبلى ، والموت يترك الشعر والأسنان ليُبْلي غيرهما من أعضاء الجسد ثم يعود إليهما ، والعجيب في هذا أن الموتَ الذي يوصف دائماً بأنه وحش وظالم وكريه يُبقي على الشعر والأسنان ، في حين تبليهما الحياة قبل أن تبلي الأعضاء الأخرى . لكن تأثر ابن الرومي بالفلسفة والمنطق كان محدوداً في زهدياته ، أو لنقل إنه لم يشأ إقحامهما في زهدياته لأن المقام لايسمح كثيراً بوجودهما .

8 - **هيكل زهديات ابن الرومي** : زهديات ابن الرومي قليلة قياساً على العدد الهائل من أبيات الشعر في الديوان ذي الأجزاء الستة الكبار . من زهدياته ماهو أبيات متناثرة في ثنايا القصيدة ، ولاسيما قصيدة الرثاء ، ومنها ماهو مقدمات لقصائد الرثاء ، ومنها ماهو مقطعات متفاوتة العدد ، ومنها ماهو قصائد مستقلة عن باقي أغراض الشعر الأخرى .

ويرتبط الزهد كثيراً عنده بفن الرثاء ، لأن فن الرثاء يقوم على ثلاثة أركان أساسية هي : البكاء ، والتأبين ، والعزاء . وفي العزاء يرى الزهاد باباً واسعاً للقول ، لأن العزاء قائم على التخفيف عن أهل الميت بذكر الآخرة والجنة والأمم السابقة التي خلت ، وتذكير أهل الميت بتقوى الله والاستعداد للآخرة ، لأن اللّه وعد المتقين منهم بجنة عرضها السموات والأرض ، وأن الميت صار إلى رب كريم . . كما يمكن للتأبين أن يكون مدخلاً واسعاً أيضاً للزهاد ، لأنه يشير إلى محاسن أخلاق الميت عندما كان حياً ، وإلى أنه كان يعمل الصالحات ويبتعد عن المعاصي والآثام ، مما سيجعله يدخل الجنة . .

لذا كثرت مقدمات الزهد لقصائد الرثاء في شعر ابن الرومي ، ولاتكاد تخلو قصيدة منها ، أو من أبيات متناثرة في طياتها . وقد تطول المقدمة الزهدية

على حساب الرثاء ، فعلى سبيل المثال نظم ابن الرومي قصيدة في رثاء القاضي أحمد بن إسحاق تتألف من تسعة وخمسين بيتاً ، منها اثنان وأربعون بيتاً مقدمة زهدية ! ومطلع هذه القصيدة :[57]

مَكْرُ الزمانِ علينا غيرُ مأمونِ فـــلا تَظُـــنَّنَّ ظنًا غيـــرَ مَظـــنونِ

وهذه المقدمة الزهدية تناسب طبيعة المرثي ؛ فقد كان قاضياً يقيم حدود اللّه ، ورعاً ، مشهوداً له بالصلاح والتقوى .

الهوا مش والمراجع

(1) الجهشياري ، محمد بن عبدوس : **الوزراء والكتاب** ، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1938 ص195 ومابعدها .

(2) المسعودي : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، أربعة أجزاء ، جـ 4 ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الثانية ، مصر : طبع مطبعة السعادة ، 1948 ، ص194 .

(3) ابن الرومي : **ديوان ابن الرومي** ستة أجزاء ، تحقيق : الدكتور حسين نصار ، الطبعة الثانية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993 ، جـ4 ، ص1487 . أدْقَع : دلَّ وأسفَّ في طلب الكسب ـ العَيْلَة : العيال ـ يَمْري : يسكب بسخاء .

(4) ديوان ابن الرومي ، جـ4 ، ص1487 ، الحاشية 3 . القفَيْز : مكيال كان يكال به قديما ، ويعادل ستة عشر كيلو جراما تقريباً . انظر : المعجم الوجيز (المَيسر) ، الطبعة الأولى ، الكويت : طبع دار الكتاب الحديث ،1993 : مادة قفز

(5) **مروج الذهب** ، جـ4 ، ص229 .

(6) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص540 ،624 ، جـ3 ، ص1131 ، جـ6 ، ص2299 ، 2489 .

(7) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص56 .

(8) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص667 .

(9) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص252 ، جـ5 ، ص1825 .

(10) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص89 ، جـ2 ، ص517 .

(11) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص609 - 610 .

(12) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص91 . رواء : الشرب حتى الشبع ، الحِمام : الموت . أصمى : أصابه بالصمم . اختتاء : حيلة ومخادعة .

(13) ابن المعتز : **طبقات الشعراء** ، سلسة ذخائر العرب 20 ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، القاهرة :

دار المعارف ، 1375هـ ، ص364 . والثَّنْويّة هم الذين يعبدون إلهين اثنين .

(14) ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الأول** ، الطبعة الثانية عشرة . القاهرة : دار المعارف ، ص- 250 . 249

(15) سورة الزمر : الآية 53 .

(16) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2464 - 2465 . موصون : من الوَصْنة وهي الخرقة الصغيرة . طرير : مُحَدَّدُ ، أي له حدٌّ .

(17) ديوان ابن الرومي ، جـ4 ، ص 1681 .

(18) ديوان ابن الرومي ، جـ4 ، ص1551 .

(19) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص187 .

(20) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2627 . وانظر نموذجا آخر فيه ، جـ6 ، ص2628 . تُمَرِّر : تجعله مرا ، ريح سافيَة : ريح تحمل الغبار فَتَذْروه ، الحَيْنُ : الموت .

(21) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص 2253 - 2254 ، الحجا : النُّهى العقل .

(22) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص177 - 178 . تَرْحاً : حزناً ، رُفَقٌ : رفاق ، مُخبَّة : مسرعة في عَدْوها . مُسْتَتبَّة : آمنة ، مُربَّة : كثيرة ، أَدْوَتْ : كثرت أدواؤها وآفاتها ، المدْغَلَة : ذات دَغَلٌ أي الشجَر الكثيفَ . المضبَّة : الأَرض يكثر فيها الضباب . المستَهبَّة : التي تجعل الآخرين يهبّون من نوم وغيره . الألبَّة : ذوو الألباب أي العقول ، الأذبَّة : الذبَاب ، الدَّبوب : الكثيرة الدَّب على الأرض ومثلها المدبَّة ، الحبَّة : المحبوبة ، وانظر نماذج أخرى في المصدر نفسه ، جـ3 ، ص1090 ، جـ4 ، ص1699 - 1700 ، جـ5 ، ص1861 .

(23) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص540 ، **العَصْران** : الصباح والمساء .

(24) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2464 ، أخْلافها : جمع خلْف : ضرع الناقة . مَزْبون : ابن الناقة تدفعه عنها بقوائمها حتى لايرضع منها . مطرورة : أسنّة الحادة . مَوْتون : مذبوح من الوتين أي الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب .
مَغْبون : مغلوب على أمره .

(25) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص641 . ينسئك : يؤخرك . الغَيَد : النعومة والليونة .

(26) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2463 - 2465 . القداح : عيدان من خشب كان يستخدمها الجاهليون في الميسر . صَنَع : صاحب مهارة في صناعة ، مَسْفُون : منحوت أو مقشور ، الجَلْد : القوي ، مرَّته : شدته وقُوَّته ، مَوْدون : لين ، نصواً : مهزولاً مُتْعباً ، رُزِئْنا : أُصبْنا بالمصيبة : البلْسام : بَمعَنى البِرْسام : وهو داء ذات الجنْب (التهاب في الغشاء المحيط بَالرئة) . انظر : المعجم الوَسيط : مادة بُرْسيمُ .

(27) ديوان ابن الرومي : جـ6 ، ص2463 . مكْمون : مُخْتَفٍ ، الخَسْف : الظلم ، مَحْقُون : ممنوع من أن يُسْفَك .

(28) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص160 . يَعْزُب : يبتعد .

(29) ديوان ابن الرومي . جـ4 ، ص1629 .

(30) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص372 .

(31) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص661 .

(32) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص631 - 632 . الحَشْد : الكثرة من الجيش وغيره ، كَثَفٌ : عدد كبير من المقاتلين ، دَيْدَنه : دأْبه ، البَزُّ : التفوق والانتصار ، الكُماة : الشجعان ، شَكَّتُه : سلاحه ، الطِّراد : ملاحقة الأعداء ، الطَّرَد : الصيد ، النَّفَد : الفناء .

(33) ديوان ابن الرومي ، جـ5 ، ص1869 - 1870 .

(34) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص 2599 - 2600 ، وانظر فيه أيضاً ، جـ2 ، ص557 - 558 .

(35) انظر : ديوان ابن الرومي ، جـ3 ، ص1608 - 1609 ، جـ1 ، ص407 - 406 .

(36) ديوان ابن الرومي ، جـ5 ، ص1921 .

(37) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص139 - 140 .

(38) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص 323 .

(39) انظر : ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2264 - 2265 .

(40) انظر : ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص322 - 324 .

(41) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص776 - 777 . وانظر فيه أيضاً : جـ1 ، ص 339 - 340 ، جـ4 ، ص1482 - 1483 ، 1646 - 1647 ، وَهَتْ : ضَعُفَت .

(42) جـ4 ، ص1482 - 1483 .

(43) مصدر سبق ذكره ، جـ4 ، ص1646 . وانظر : القصيدة كاملة فيه .

(44) ضيف ، شوقي : **العصر العباسي الثاني** ، الطبعة الثامنة ، القاهرة : دار المعارف ، 1992 ،ص111 .

(45) **العصر** العباسي الثاني ، ص475 .

(46) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص673 ، الشَّغَفُ : أن يحترق القلب حبّا .

(47) الأصبهاني ، أبو الفرج : **كتاب الأغاني** ، 24 جزءا ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، جـ4 ، بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر والتوزيع ، ص70 .

(48) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص372 .

(49) ديوان ابن الرومي ، جـ2 ، ص 661 .

(50) ديوان ابن الرومي ، جـ1 ، ص340 .

(51) ديوان ابن الرومي ، جـ4 ، ص1482 - 1483 .

(52) ديوان ابن الرومي ، جـ4 ، ص1482 .

(53) سورة السجدة ، الآية 32 .

(54) ديوان ابن الرومي ،جـ5 ، ص1869 .

(55) انظر تفصيل ذلك عند العقاد ، عباس محمود : **ابن الرومي حياته من شعره** ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد 214 ، القاهرة : دار الهلال ، 1969 ، ص88 .

(56) ديوان ابن الرومي ، جـ3 ، ص1090 . غِيَرُ الدهر : أحداثه وأحواله المتغيرة .

(57) ديوان ابن الرومي ، جـ6 ، ص2463 .

* * *